تراجم أندلسية منتقاة من كتاب المقفّى للمقريزي(1)

تقديم وتحقيق الدكتور محمد اليعلاوي

المقريزيّ

هو المؤرخ المصري الكبير تقيّ الدّين أحمد بن عليّ بن عبد القادر المتوفّى سنة 845 / 1441 ، صاحب كتاب الخطط (المواعظ والاعتبار) الذي يعدّ مرجعا ضروريًا لمن يروم معرفة المجتمع المصري في عصر المماليك ، بما رسم فيه المؤلف من بيانات عن جغرافية القاهرة وكبرى المدن المصرية ومعالمها ورجالاتها وتاريخها وعاداتها (2).

وهو أيضا مؤلّف كتاب « اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمّة الفاطميين الخلفاء » (3) الذي أرّخ فيه للدولة العبيديّة في إفريقية أوّلا ثمّ في مصر. وفي تاريخ مصر أيضا ، له بالخصوص كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » (4) وهو تاريخ للدّولتين الأيّوبية والمملوكيّة إلى عصره هو . فإذا أضفنا إلى هذه المصنّفات

---

(1) له ترجمة في الضوء اللامع للسخاوي 21/2 وأعلام الزّركلي : 172/1 ، ودائرة المعارف الإسلاميّة : ط 2 ج 177/6 . كتب المقال. ف. روز نتال.

(2) نشرت الخطط مرارا وكانت تفتقر إلى فهارس مفصّلة فعمل المعهد العلمي الفرنسيّ بالقاهرة (IFAOC) على سدّ هذه الثغرة بعناية أحمد عبد المجيد هريدي سنة 1983 .

(3) نشر الجزأين 1 و2 من الاتعاظ المرحوم جمال الدّين السيّال ثمّ أكمل محمد حلمه محمد أحمد الطبعة بالجزء الثالث القاهرة 1973 .

(4) بدأ في نشر هذا العمل الضخم المرحوم محمد مصطفى زيادة سنة 1956 ثمّ واصل النشر سعيد عبد الفتّاح عاشور ، فخرج الكتاب في أربعة أجزاء واثني عشر مجلّدا سنة 1973 .

الثلاثة كتابا في تاريخ الأقباط سكّان مصر قبل الفتح، وكتابا في القبائل العربيّة النازلة بمصر (البيان والإعراب)، وتاريخا كبيرا في ملوك مصر والفسطاط (جواهر الأسفاط)، وكتابين في ذكر النقود (شذور العقود) وفي الأوزان والأكيال، تبيّن لنا أنّ المقريزي هو مؤرخ مصر بحقّ.

ولكنّه لم يقتصر على التاريخ لبلاده بالسنوات والماجريات كما فعل في الاتّعاظ والسلوك، بل ألّف كتابين في التّراجم ــ وعلم التّراجم يعدّ من علوم التّاريخ، فلذلك يسمّى قاموس البخاري تاريخ البوخاري ووفيات ابن خلّكان تاريخ ابن خلّكان. ــ الأوّل منهما هو كتاب «المقفّى الكبير»(5) الذي يعنينا الآن. وخاصيّته أنّه يترجم للأعلام الذين نشؤوا بمصر أو نزلوا بها مارّين أو مستوطنين، فهو قاموس أعلام مصريّين بالنشأة والولادة، أو بالتّحصيل والوفادة. والقاموس الثّاني : ــ وعنوانه : «درر العقود الفريدة بتراجم الأعيان المفيدة» ــ خصصه لتراجم الأعلام الذين عاصرهم أي الذين عاشوا مثله بين القرن الثّامن والقرن التاسع.

وقد رأينا أن نقتطف من كتاب المقفّى ــ وقد حقّقناه من نسخته الفريدة الموزّعة بين مكتبات إستانبول وباريس وليدن، وهو الآن بصدد الطبع ــ هذه التراجم الأندلسية التي انتقيناها من بين نحو مائتي ترجمة لأعلام أندلسيّين أو من أصل أندلسي طرؤوا على مصر أو استوطنوها(6). وهممنا في أوّل الأمر أن نقتصر على الأشخاص الذين لم يذكروا في كتب التّراجم السابقة، من كتب أندلسية كتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي وصلة ابن بشكوال، وجذوة المقتبس للحميدي وغيرها، أو قواميس مشرقيّة كوفيات ابن خلّكان والوافي للصفدي والفوات لابن شاكر. ولكن تبيّن لنا أنّ تراجم هؤلاء الأعلام المغمورين المنسيّين غير ذات غناء نظرا إلى نزرة المعلومات بشأنهم، فاكتفينا منهم بنموذج أو اثنين، وعرضنا لأعيان معروفين مذكورين عند سابقي المقريزي ولاحقيه حتى يتبيّن الباحث طريقة المقريزي في النّقل والتّصنيف ويقف على الاختلاف في المادّة والتّقديم إن وجد. ولهذا الغرض ذيّلنا كل ترجمة بالمظّان الأخرى التي ذكرت فيها. ونبّهنا في الهوامش إلى الزيادة أو النقصان.

---

(5) نشرنا قسما من المقفّى جمعنا فيه تراجم من الفترة العبيديّة الإفريقية خاصّة ــ دار الغرب الإسلامي 1987 .

(6) الكتاب يعدّ أكثر من 3500 ترجمة .

وحرصنا على أن تكون التراجم المعروضة هنا منتقاة من الأقسام الثلاثة التي ذكرناها(7)، ومتعلّقة بأعلام مختلفي العصر والمنزع، فمن الأمير إلى المحدّث، ومن الفقير الزّاهد إلى الأديب الشاعر، على أنّ في الكتاب من تراجم القرّاء المفسّرين، والرّحالية والنّحاة، والكتّاب والقضاة، ما يربو على المائتين كما قلنا. وإنّما انتقينا واخترنا، وكلّ اختيار بالاعتباط موسوم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

1133 ـــ أبو الخطّار الكلبي
أمير الأندلس (... ـــ 129 هـ)

حسام بن ضرار بن سلامان بن خثيم بن ربيعة بن حصن بن ضمضم بن عدّي بن جناب بن هيل بن عبد الله بن كنانة / بن بكر بن عوف بن زيد اللات بن رغيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، أبو الخطّار ، الكلبي ، أمير الأندلس.

(341أ) قدم مصر ودخل إفريقية : فلمّا مات بلج بن بشر(2) وقام من بعده بالأندلس ثعلبة بن سلامة (العاملي) وثارت البربر بناحية ماردة ، قال أبو الخطاب يعرّض بيوم مرج راهط وما كان فيه بلاء كلب مع مروان بن الحكم(3) ، وقيام القيسيّة مع الضحّاك بن قيس الفهري على مروان (طويل) :

(7) وهي خمسة في الحقيقة : جزء ضخم بإستانبول ويشمل حروف الهمزة إلى الخاء ، وجزء بباريس فيه بعض العبادلة ، وثلاثة أجزاء بليدن تقتصر على المحمّدين.وهذه المخطوطات ـــ ما عدا مخطوط تركيا ـــ مسودّات بخطّ المقريزي نفسه . لذلك يكثر فيها الخطأ والسّهو والبياض.

(1) نفح الطيب 226/1 ـــ ابن عذاري 33/2 ـــ الأعلام 187/2.
(2) بلج بن بشر القشيري (ت 124) له ترجمة في المقفّى رقم 965.
(3) أبو الخطّار وقومه كلب يمنيّون ، وهذا التمثّل يمهّد لتعصّبه لليمنيّة على القيسية ، ووقعة مرج راهط دارت بالشّام سنة 64 بين جند الأمويّين وقد بايعوا مروان بن الحكم والضحّاك بن قيس الفهريّ القرشيّ وقد بايع عبد الله بن الزبير وتبعه أهل دمشق . انظر ترجمة الضحّاك في الأعلام 309/3 وترجمة عبد الله بن الزبير في المقفّى (باريس رقم 106).

أفـــادت بنـــو مروان قيسا دماءنـــــا وفي الله إن لم يعدلـــوا حكـــم عدل
كأنّكـــم لم تشهـــدوا مرج راهـــط ولم تعلمـــوا من كان ثمّ له الـــفضل
وقينـــاكم حرّ القنـــا بنحورنـــا وليس لكـم خيل تعـــدّ ولا رجـــل

فلمّا بلغ هشام بن عبد الملك ذلك كتب إلى حنظلة بن صفوان الكلبيّ(4)، وقد استعمله على إفريقيّة ، أن يولّي أبا الخطار الأندلس ، فولاه وبعثه إليها، فقدم في رجب سنة خمس وعشرين (ومائة) يوم جمعة.

فدانت له ، وفرّق جمع بلج بن بشر وعبد الرحمان بن حبيب(5) ، وأخرج ثعلبة بن سلامة(6) في سفينة إلى إفريقية، ثم أخرج بعده عبد الرّحمان بن حبيب وأخرج مع ثعلبة أهل الشام فنزلوا القيروان مع حنظلة.

وأظهر أبو الخطّار عدلا في الحكم وقصدا في السيرة ، إلى أن مالت به العصبيّة في يمنيّته(7). فأفسد أمره بسرعة وهاجت الفتنة، وذلك أن رجلا من كنانة خاصم رجلا من غسّان فاستعان الكناني بالصّميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن (كبير القيسيّة ، وكان من طوالع بلج)(7) . فكلّم فيه أبا الخطّار فأغلظ له فردّ عليه الصميل ، فأقيم وضرب قفاه فمالت عمامته(8). وخرج فقيل له : نرى عمامتك مالت . فقال : إن كان لي قوم فسيقيمونها.

ثمّ مضى فجمع له كما ذكر في ترجمته(9) ، وأتى شدونة فاستخلف أبو الخطار على قرطبة ، وخرج إليهم فاقتتلوا في رجب سنة سبع وعشرين ومائة قتالا شديدا فانهزم أبو الخطار وأسّر ، بعدما قتل أصحابه شرّ قتل . وسجنه الصّميل وتوابة بن سلامة الجذامى بقرطبة ، وملكها توابة.

فسار عبد الرحمان بن حسّان الكلبي وأخرج أبا الخطار من السجن(10) واستجاش اليمانية

(4) حنظلة بن صفوان (ت 127) له ترجمة في المقفّى 1315.
(5) بلج مات. أمّا عبد الرحمان بن حبيب حفيد عقبة بن نافع فقد غامر بالأندلس فلم يفلح فتملّك إفريقية قسرا سنة 126 ــ الأعلام 73/4.
(6) ثعلبة بن سلامة كان والي الأندلس عند قدوم أبي الخطّار سنة 124 ، وكان هشام بن عبد الملك رتّب الولاية على هذا النّحو : كلثوم بن عياض فبلج بن بشر ابن أخيه فثعلبة هذا ــ ابن عذاري 32/2.
(7) الزيادة من نفح الطيب 227/1 لتوضيح العصبيّة بين الغسّاني (يمنيّة) والكناني (قيسيّة).
(8) في النّفح ، لا ذكر للضرب وإنّما قال : فأقيم من مجلسه وتقنّع.
(9) ترجمة الصميل مفقودة.
(10) في البيان المغرب 35/2 أنّ أبا الخطّار أفلت من سجنه ، لا غير . ولكنّه يزيد بعد حين : «أخرجه عبد الرحمان بن نعيم الكلبيّ وهرب به إلى لبلة .

فاجتمع له خلق كثير وأقبل بهم إلى قرطبة وقاتل توابة والصّميل ومعهما المضريّة واليمانيّة . فلمّا اشتدّت الحرب نادى رجل : يا معشر اليمانيّة ما لكـم تتعرّضون للحرب على أبي الخطّار ، وقد جعلنا الأمير منكم ؟ ـــ يعني توابة فإنّه كان من اليمن ـــ ولو أنّ الأمير منّا لقد كنتم تعذرون في قتالكم لنا. وما نقول هذا إلّا تحرّجا من الدماء ورغبة في عافية العامّة !

فقال النّاس : صدق والله ! الأمير منّا ، فما بالنا نقاتل قومنا ؟ وتركوا القتال وافترقوا. وفرّ أبو الخطار إلى باجة ورجع توابة إلى قرطبة، فسمّي ذلك العسكر عسكر العافية(11).

فلمّا مات توابة في سنة تسع وعشرين (ومائة) وأقام الصميل بعده يوسف بن عبد الرحمان الفهري قال أبو الخطّار : إنما أراد الصميل أن يصيّر الأمر إلى مضر. وسعى في النّاس حتى ثارت الفتنة بين اليمن ومضر، واجتمعت اليمنيّة إليه والمضرية إلى الصميل. وتزاحفوا واقتتلوا أياما كثيرة قتالا لم يكن بالأندلس أعظم منه. ثم انجلت الحرب عن هزيمة اليمنيّة. فمضى أبو الخطار منهزما واستتر في رحى (بشقندة) كانت للصميل، فدلّ عليه فأخذه الصميل وقتله.

وكان شجاعا ذا رأي وكرم، وهو الذي قسم كور الأندلس على أجناد الشام لمّا كثروا عنده ولم تحملهم قرطبة ففرقّهم في البلاد، فأنزل أهل دمشق إلبيرة لشبْهها بها وسمّاها دمشق، وأنزل أهل حمص إشبيلية وسمّاها حمص.

(341ب) وأنزل أهل قنّسرين بجيّان وسمّاها قنّسرين، وأنزل أهل الأردن بريّة وسماها الأردن، وأنزل أهل فلسطين بشدونة / وسمّاها فلسطين، وأنزل أهل مصر بتدمير وسمّاها مصر لشبهها بها، فجرت أسماء هذه الكور على ذلك مدة.

وكان أبو الخطّار مع فروسيّته وكرمه شاعرا محسنا، فمن شعره قوله :

[بسيط]

إنّ ابن بكر كفاني كلّ معضلة ... وحطّ عن غاربي ما كان يؤذيني
إذا اتّخذت صديقا أوهمت به ... فاعمد لذي حسب ترضاه أو دين
ما قدّر الله في مالي وفي ولدي ... لا بدّ يدركني ، لو كنت في الصّين

(11) في البيان 34/2 تبرير آخر لهذا الاسم : هو جيش أبي الخطّار وقد أطلق سراح المسلمين من البربر وغيرهم الذين نادي ثعلبة بن سلامة ببيعهم في سوق قرطبة بعد انتصاره على البربر الثائرين.

68 ــ عبد الرّحمان الدّاخل (113 ــ 171)[1]

(53أ) عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو المطرّف[2]، (الأمير) الأمويّ الداخل إلى الأندلس. يقال له صقر قريش .

كان أبوه معاوية وليّ عهد أبيه هشام بن عبد الملك ، وقاد إلى الروم خمس عشرة صائفة ، ومات في حياة أبيه سنة ثماني عشرة ــ وقيل اثنتين وعشرين ــ ومائة ، وعمره إحدى وعشرون سنة. وترك من الأولاد عبد الرحمان ويحيى شقيقه ، وأبان ، وعبيد الله ، وهشاما ، والمنذر ، وعبدة، وأم الأصبغ.

وولد عبد الرحمان سنة ثلاث عشرة ومائة بدير حنيناء[3] من عمل دمشق ــ وقيل بالعلياء من عمل تدمر ــ وأمّه أمّ ولد اسمها راح بربرية.

فدخل يوما على جدّه هشام بن عبد الملك ، وعنده أخوه مسلمة بن عبد الملك ، وكان حينئذ عبد الرحمان صبيّا . فأمر هشام أن ينحّى عنه ، فقال له مسلمة : دعه يا أمير المؤمنين، وضمّه إليه، ثمّ قال : يا أمير المؤمنين هذا صاحب بني أميّة ، ووزرهم عند زوال دولتهم ، فاستوص به خيرا ! (قال عبد الرحمان) : فلم أزل أعرف من جدّي مزيّة بعد ذلك.

ومازال عبد الرحمان بالشّام إلى أن ظهرت الدولة العبّاسية ، وقتل من قتل من بني أميّة ،

---

(1) في المخطوط ميّزت الترّجمة بعنوان أحمر : خليفة الأندلس الأمويّ.وانظر نفح الطيب 76/31 ــ البيان المغرب 40/2 ــ دائرة المعارف الإسلامية 84/1 .

(2) كنيته أيضا : أبو سليمان ، وأبو زيد (نهاية الأرب 334/23 ــ الكامل 83/5).

(3) من أعمال دمشق (ياقوت) ــ وفي البيان المغرب 47/2 : دير حسينة .

وفرّ من نجا منهم ، وكان عبد الرحمان بذات الزيتون(4) ففرّ منها إلى فلسطين فقدمها آخر سنة ستّ وثلاثين . وقيل إنّه عبر الفرات يشقّها عوما بذراعيه ، ثمّ قطع الفلاة بمفرده . وأقام هو ومولاه بدر بتجسّس الأخبار . فحكي عنه أنّه قال : لمّا أعطينا الأمان ، ثمّ نكث بنا بنهر أبي فطرس(5) وأبيحت دماؤنا ، أتاني الخبر — وكنت منتبذا عن النّاس-فرجعت إلى منزلي آيسا، ونظرت فيما يصلحني وأهلي ، وخرجت خائفا حتى صرت إلى قرية على الفرات ذات شجر وغياض . فبينا أنا ذات يوم بها ، وولدي سليمان يلعب بين يديّ — وهو يومئذ ابن أربع سنين — فخرج عنّي ثمّ دخل من باب البيت باكيا فزعا فتعلّق بي . وجعلت أدفعه وهو يتعلّق بي . فخرجت لأنظر ، وإذا بالخوف قد نزل بالقرية ، وإذا بالرّايات السّود منحطّة عليها ، وأخ لي حدث السنّ يقول لي : النجاة ! فهذه رايات المسوّدة.

فأخذت دنانير معي ونجوت بنفسي وأخي ، وأعلمت أخواتي بمتوجّهي وأمرتهنّ أن يلحقنني مولاي بدرا . وأحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لي أثرا . فأتيت رجلا من معارفي وأمرته فاشترى لي دواب وما يصلحني . فدلّ عليّ عبدٌ له العاملَ فأقبل في خيله يطلبني ، فخرجنا على أرجلنا هرابا والخيل تبصرنا فدخلنا في بساتين على الفرات فسبقنا الخيل إلى الفرات فسبحنا . امّا أنا فنجوت، والخيل ينادوننا بالأمان ولا أرجع. وأما أخي فإنّه عجز عن السباحة /في نصف (53ب)
الفرات فرجع إليهم بالأمان فأخذوه فقتلوه وأنا أنظر إليه، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فاحتملت فيه ثكلا آخر. ومضيت لوجهي فتواريت في غيضة أشِبة حتى انقطع الطلب عنّي وخرجت فقصدت المغرب.

وقدم مصر ثمّ صار منها إلى أرض برقة فأقام بها خمس سنين . ثمّ رحل من برقة يريد الأندلس .

ثمّ إنّ أخته أمّ الأصبغ بعثت إليه مولاه أبا الغصن بدرا ، ومعه نفقة له وجوهر . فبلغ عبد الرحمان إفريقيّة ، وعليها عبد الرحمان بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري متولّي إفريقية من قبل مروان. فظنّ عبد الرحمان أنّه يرعاه ويحسن مجاورته. فلمّا علم ابن حبيب بقتل مروان كتب إلى أبي العبّاس السّفاح بالسّمع والطّاعة، وأراد قتل عبد الرحمان بن معاوية تقرّبا إلى بني العبّاس. فهرب منه إلى مكناسة من قبائل البربر فلقي عندهم سَدّة . ثمّ هرب من عندهم فأتى نفزاوة وهم أخواله — لأنّ أمّه كانت بربريّة منهم سبيت في غزاة إفريقية — ومعه مولاه بدر . فأحسنوا

---

(4) الزيتونة عند ياقوت : موضع ببادية الشّام كان ينزله هشام بن عبد الملك قبل أن يعمّر الرصافة.

(5) نهر أبي فطرس : قرب الرملة ، وبه أوقع عبد الله بن علي بن عبد الله بن العبّاس بالأمويّين فقتلهم سنة 132 (ياقوت . وانظر الكامل 362/4).

إليه . فاطمأنّ فيهم وأخذ في التّدبير ومكاتبة أهل الأندلس من موالي بني أميّة يعلمهم بقدومه ويدعوهم إلى نفسه . ووجّه مولاه بدرا إليهم.

وكان أمير الأندلس إذ ذاك أبو زيد يوسف بن عبد الرحمان بن أبي عبيدة نافع الفهري . فأخذ بدر يتجسّس عن الخبر، فرأى القوم وبأسهم، وكانوا يمانيّة ومضريّة يقتتلون على العصبيّة. فقال للمضريّة : لو وجدتم رجلا من أهل بيت الخلافة، أكنتم تبايعونه وتقومون به؟

فقالوا : وكيف لنا بذلك ؟

فقال بدر : هذا عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك. ودعاهم إليه فأجابوه . ووجّهوا إليه مركبا فيه تمّام بن علقمة وجماعة . فوصلوا إليه وأبلغوه طاعتهم له ، وأخذوه إلى الأندلس ـ فأرسى بالمنكّب (6) في شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وثلاثين ومائة . فأتاه جمع من رؤسائهم من أهل إشبيلية . وكانت نفوس اليمن حنقة على الصّميل بن حاتم الكلابيّ ويوسف الفهريّ ، فأتوه أيضا وبايعوه .

فسار وجمعه يكثر حتى نزل إشبيليّة. ثمّ نهد إلى قرطبة ، وكان يوسف غائبا بنواحي طليطلة . فأتاه الخبر وهو عائد إلى قرطبة ، وكان قد بلغه خبر عبد الرحمان فلم يعبأ به ولم
فاطمأن أصحاب يوسف، ثقة منهم بأنّ الصّلح قد انبرم. وأقبل يوسف يهيّئ الطّعام ليأكله
النّاس على سماطه يوم الأضحى، وعبد الرحمان يرتّب خيله ورجله. وعبر النّهر ليلا في
أصحابه، فنشب القتال ليلة الأضحى وصبر الفريقان إلى أن ارتفع النّهار، وقد ركب عبد
الرحمان بغلا يرى النّاس أنّه يثبت ولا يفرّ. فسكنت قلوب أصحابه واشتدّ قتالهم فانهزم
(54أ) يوسف، وبقي الصميل فقاتل في عصبة من عشيرته ثمّ انهزموا /. فمضى يوسف إلى ماردة.
وأتى عبد الرحمان قرطبة فدخلها من يومه يوم الجمعة عاشر ذي الحجّة يوم النّحر سنة ثمان ــ وقيل تسع ــ وثلاثين ومائة ، والنّاس في المصلّى يصلّون العيد . وأخرج حشم يوسف وأهله من القصر ودخله بعد ذلك.

وشبّهت واقعة عبد الرحمان بيوم مرج راهط (7) ، فإنّها كانت يوم عيد النّحر وكانت بين

(6) في المخطوط : بالمركب . وكذلك في نهاية الأرب 326/23 . وفي الكامل 362/4 والبيان 44/2 والنفح 74/3 : بالمنكب،بساحل المنكب . وفي معجم البلدان : المنكّب : من أعمال إلبيرة ، على أربعين ميلا من غرناطة . وفي تاريخ إسبانيا الإسلامية ، 101/1 و844/3 : المنيكر Al Muñecar بين مالقة والمريّة.

(7) وقعة «مرج راهط» بين الضحّاك بن قيس الفهريّ ومروان بن الحكم سنة 65 هـ (انظر الكامل 328/5 تحت سنة 64) .

أمويّ وفهريّ ، وكان على مقدّمة مروان حسّان بن بجدل الكلبيّ . وكذلك كانت هذه يوم الأضحى وهي بين أمويّ وفهريّ ، وكان على مقدّمة عبد الرحمان حسّان بن مالك الكلبيّ . وكانت سنّ عبد الرحمان يومئذ تسعا وعشرين سنة .

ثمّ سار (عبد الرحمان) في طلب يوسف. فلمّا أحسّ به يوسف خالفه إلى قرطبة وأخذها وملك قصرها واحتوى على جميع أهله وماله ، وأسّر أبا عثمان جعدة صاحب الأرض ، وهو يخلف عبد الرحمان على قرطبة ، ولحق بمدينة إلبيرة وكان الصّميل بمدينة شوذر (8) .فلمّا بلغ عبد الرحمان الخبر رجع إلى قرطبة طمعا في لحاق يوسف . فلمّا لم يجده سار إلى إلبيرة ، وقد قدم الصّميل إليها واجتمع بيوسف وصارا في جمع كثير . وآل الأمر إلى الصلح على أن ينزل يوسف بأمان هو ومن معه وأن يسكن مع عبد الرحمان بقرطبة ، ويرهنه يوسف ابنيه أبا الأسود محمد وعبد الرحمان .

فسار يوسف مع عبد الرحمان ونزل معه بقرطبة . فلمّا استقرّ أمر عبد الرحمان بنى القصر بقرطبة ، وبنى المسجد الجامع ، وأنفق فيه ثمانين ألف دينار ، وبنى مساجد الجماعات ، وأتاه جماعة من أهل بيته .

وكان يدعو لأبي جعفر المنصور مدّة عشرة أشهر ثمّ قطع اسمه من الخطبة .

فلمّا كانت سنة أربعين — وقيل إحدى وأربعين — نكث يوسف الفهريّ عهد عبد الرحمان ، وصار إلى ماردة فاجتمع عليه عشرون ألفا ، وقصد محاربة عبد الرحمان . فسار إليه من قرطبة . فمضى يوسف إلى إشبيلية ، وعليها عبد الملك بن عمر بن مروان ، فحاربه وهزمه(9) وقتل كثيرا من أصحابه، وبقي يوسف متردّدًا في البلاد حتّى قتله بعض أصحابه في شهر رجب سنة اثنتين وأربعين بنواحي طليطلة وحمل رأسه إلى عبد الرحمان. فنصبه بقرطبة، وقتل ابنه أبا زيد عبد الرحمان بن يوسف الذي كان رهينة عنده ونصب رأسه مع رأس أبيه. وبقي أبو الأسود بن يوسف عنده رهينة. وقبض على الصّميل وسجنه حتى مات في سجنه.

ثم خرج العلاء بن مغيث (اليحصبيّ) من إفريقية في سنة ستّ وأربعين إلى باجة، ولبس السّواد ودعا لبني العبّاس . فسار إليه عبد الرحمان ولقيه بنواحي إشبيلية وحاربه أيّاما حتى هزمه وقتل سبعة آلاف من أصحابه في المعركة ، ثمّ قتل العلاء . وأمر بعض التجّار بحمل رؤوس جماعة من مشاهيرهم إلى القيروان وإلقائها في السوق سرّا ، ففعل ذلك . ثمّ حمل منها

---

(8) شوذر : بين غرناطة وجيّان (ياقوت ، والكامل 363/4 . ولم يذكرها النّويريّ) .

(9) المهزوم هو يوسف الفهريّ . الكامل 864/4 .

إلى مكّة عدّة فوصلت ، وقد حجّ أبو جعفر المنصور ، وكان مع الرؤوس لواء أسود وكتاب كتبه المنصور / للعلاء فأنكى بذلك المنصور . (54ب)

وخرج أيضا سعيد اليحصبيّ المعروف بالمطري بمدينة لبلة غضبا للعلاء ، فاجتمعت إليه اليمنيّة ، وقصد إشبيلية وتغلّب عليها فكثر جمعه فبادره عبد الرحمان ، ومازال يحاصره حتى قتل وقتل كثير ممّن كان معه ، وعاد عبد الرحمان إلى قرطبة .

فخرج عليه عبد اللّه بن خراشة الأسديّ بكورة جيّان ، وأغار على قرطبة في جمع كثير. فندب لقتاله جيشا فتفرّق جمعه ، وطلب الأمان فأمّنه.

ثمّ خرج في سنة إحدى وخمسين بشرق الأندلس رجل من بربر مكناسة يقال له شقنا بن عبد الواحد ، وادعى أنّه من ولد عليّ بن أبي طالب ، وتسمّى بعبد اللّه بن محمد ورفع نسبه إلى الحسين بن عليّ . فاجتمع عليه خلق كثير من البربر وعظم أمره . فخرج إليه عبد الرحمان ، وكانت له معه أخبار وحروب إلى أن كانت سنة ستّ وخمسين ، فخرج إليه لمحاربته فخرج أهل إشبيلية عن طاعته ، فرجع وقد هاله ما سمع من اجتماعهم وكثرتهم . وقدّم ابن عمّه عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم فقاتل اليمانيّة وأهل إشبيلية ، فلم تقم بعدها لليمانيّة قائمة . وعاد عبد الرحمان الى قرطبة فقتل في سنة سبع وخمسين خلقا كثيرا ممّن كان من الخارجين عليه ، ومال من حينئذ إلى اقتناء العبيد لما بلي به من غشّ العرب .

وثار عليه في سنة ستّين — وقيل إحدى وستّين — عبد الرحمان بن حبيب الفهريّ المعروف بالصقلّي ، وعبر من إفريقيّة إلى الأندلس محاربا لهم ليدخلوا في طاعة الدولة العبّاسيّة ، فلم يزل عبد الرحمان يدبّر عليه حتّى اغتاله رجل من البربر فقتله وحمل رأسه إليه فأعطاه ألف دينار ، وذلك سنة اثنتين وستّين.

ثمّ ثار أبو الأسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمان الفهريّ بالأندلس في سنة ثمان وستّين بعد ما فرّ من السّجن بقرطبة إلى طليطلة ، واجتمع عليه خلق كثير ، وسار لحرب عبد الرحمان فلقيه واشتدّ القتال . ثمّ انهزم وقتل من أصحابه أربعة آلاف ، وغرق في النهر كثير . ثمّ بقي يحارب عبد الرحمان إلى أن هلك سنة سبعين. فقام من بعده أخوه قاسم وجمع فقاتله عبد الرحمان حتى قتله بعد أن ظفر به.

ولم يزل عبد الرحمان مظفّرا إلى أن توفيّ يوم الثلاثاء لستّ بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة (10) ، وهو ابن سبع وخمسين سنة وأربعة أشهر ، بقرطبة ، وصلّى عليه

(10) (وقيل في غرّة جمادى الأولى سنة 172 — وهو الصحيح —). النّويري 350/23 . وكذلك الكامل 83/5 .

ابنه عبد الله وأخذ البيعة لأخيه هشام ، وكان غائبا وقيل : مات وسنّه (...) وستّون سنة . وكانت إمارته ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوما ، بعدما قطع القفر ، وركب البحر ، ودخل بلدا أعجميًا وهو وحده فغلب عامله ، ومصّر الأمصار وجنّد الأجناد ودوّن الدواوين وأقام ملكا بحسن تدبيره وشدّة شكيمته . فولي بعده ابنه هشام بن عبد الرحمان.

(55أ) وكان أصهب خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم / سناطا [11] أعور ، له ظفيرتان وبوجهه خال . وكان أخشم لا يشمّ شيئا [12].

وكان شديد البأس سريع الغضب سريع النهضة في طلب الخارجين عليه ، لا يخلد إلى راحة شديد الحذر.

وكان نقش خاتمه : باللّه يثق عبد الرحمان وبه يعتصم [13]. وكان فصيحا لسنا شاعرا حليما عالما حازما ورعا سخيًا جوادا ، يكثر لبس البياض.

وكان يقاس بأبي جعفر المنصور في حزمه وشدّته وضبطالمملكة . ووافقه في أشياء : منها أن كلّا منهما أمّه بربريّة . وكان الناس يقولون : ملك الأرض ابنا بربريّة ، يعنون عبد الرحمان والمنصور ، وذلك أنّ أمّ المنصور سلامة البربريّة ، وأمّ عبد الرحمان راح البربريّة .

ومنها أنّ المنصور قتل ابن أخيه السفّاح ، وقتل عبد الرحمان ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية.

وهو الذي بنى الرصافة بقرطبة تشبّها برَصافة جدّه هشام بن عبد الملك بدمشق.

وكان عبد الرحمان لمّا سار يريد قرطبة في ابتداء أمره قيل له : «كيف تسير بلا لواء ؟» فأتى بقناة وأرادوا إمالتها ليعقد عليها ، فأبى أن يميلها كراهة الطّيرة وعمد إلى شجرتين بين زيتون متجاورتين فركز القناة بينهما ثمّ أطلع أبا عثمان فعقد اللّواء على القناة وسار به فلم يزل هذا اللّواء على تلك القناة عند خلفاء بني أميّة بالأندلس يتباركون به . وإذا أرادوا عقد لواء عقدوه على هذه القناة ، إلى أن كانت آخر أيّام عبد الرحمان بن الحكم بن هشام ، فأراد الوزراء عقد لواء فأحضروا القناة فإذا عليها عقدة خلقة فلم يدروا ما هي فأنفوا منها وألقوها عن القناة . فبلغ ذلك شيخ الوزراء الوزير جهور بن يوسف فشقّ عليه وأنكر فعلهم وقال : إنّما تركت للتبرّك بها ، وتطلّبها فلم توجد . ومن حينئذ دخل الوهن في مملكة بني أميّة حتّى زالت وانقرضت .

(11) سناط بالضمّ والكسر وسنوط : لا لحية له . وسَنُط الرجل على وزن كرم وفرح .

(12) هذه الأوصاف الجسمانيّة لا توجد في الكامل ولا في نهاية الأرب ، ولكنّ المقري ذكرها : نفح 85/3 .

(13) في البيان ، 84/2 : عبد الرحمان بقضاء اللّه راض .

والأمير عبد الرحمان أوّل من رتّب الحجابة بالأندلس . وكان حاجبه تمّام بن علقمة . ولم يكن له وزير وإنّما كان له أهل مشورة.

وكان على قضائه يحيى بن يزيد التّجيبي ثمّ معاوية بن صالح الحضرميّ وعمر بن شراحيل ، وعبد الرحمان بن طريف اليحصبيّ.

وقصده رجل فمثل بين يديه يستجديه وقال : يا ابن الخلائف الراشدين والسادات الأكرمين ، إليك فررت وبك عذت من زمن ظلوم ودهر غشوم قلّل المال وشعّت الحال وصيّر إلي نداك المآل. فأنت وليّ الحمد وربيّ المجد المرجوّ للوفد.

فقال له مسرعا : قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك وأمرنا بعونك على دهرك ، على كرهنا لسوء مقالك . فلا تعودنّ — ولا سواك — لمثله من إراقة ماء / وجهك بتصريح المسألة (55ب)
والإلحاف في الطلبة . وإذا ألمّ بك خطب أو حزبك أمر فارفع إلينا في رقعة كيما تستر عليك خللك وتكفّ شماتة العدوّ عنك بعد رفعها إلى مالكنا ومالكك عزّ وجهه بإخلاص الدعاء وحسن النيّة.

وأمر له بجائزة حسنة . فخرج الناس يعجبون من حسن منطقه . وكان معاوية بن صالح يتناوب خطّة القضاء للأمير عبد الرحمان هو وعبد الرحمان بن طريف على قرطبة ، فأبطأت على معاوية في بعض السّنين فقلق وكتب إلى الأمير يستعيدها ويذكّره وجوبها ، فلهي عنه ، وأمضي ابن طريف على حاله . فأعاد معاوية الكتاب إليه ، فعاتبه الأمير عبد الرحمان وقال : مثلك يستحثّ في عمل طالما لاذ الصالحون منه وفرّوا عنه.

فكان من عذره : فإن كنت سألتك الولاية فقد سألها من كان ظله في الأرض خيرا منّي ، وذاك يوسف النبيّ ﷺ في قول اللّه تعالى حكاية عنه : « اجعلني على خرائن الأرض إنّي حفيظ عليم » (55 يوسف 12).

وكان ابن طريف عادلا صالحا ورعا ، إذا شغل عن القضاء يوما لم يأخذ لذلك اليوم أجرا .

ومن شعر الأمير عبد الرحمان ، وقد رأى نخلة بالأندلس في الرصافة التي بناها فقال [طويل] :

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النّخل
فقلت : شبيهي في التغرّب والنوى ... وطول اكتئابي عن بنيّ وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة ... فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي ... يسحّ ويستمري السماكين بالوبل

ويذكر أنه نزل وهو متوجّه في مبدإ أمره بقوم يقال لهم بنو ماسين فأقام عندهم وقال للّذي كان عنده : (إن سمعت بأوّل وال ولي الأندلس فارحل إليه). فلمّا تمّ أمره أتاه الرجل فأقام ببابه مدّة لا يصل إليه حتى ركب عبد الرحمان ذات يوم ، فعرض له من بعد ، فعرفه ووكّل به من أحضره عنده . وسأله عن أهله وعياله وأمره بطلب ما يريد . فقال : تهب لي غلاما وجارية يرعيان علينا.

فقال : نعطيك عشرة من الغلمان وعشرا من الجواري !

ثمّ أنزله وأكرمه وبعث في إحضار أهله فلم يشعر البربري إلّا بأهله وولده وجميع حشمه عنده ، فوسّع عليهم عبد الرحمان وغمرهم بفضله .

(56أ) وكان أبو جعفر المنصور يثني على عبد الرحمان ويقول : ذاك صقر قريش / دخل المغرب ، وقد قتل قومه ، فلم يزل يضرب العدنانيّة بالقحطانيّة ، ويكبس القحطانية بالعدنانية حتى ملك .

وكان يدعو لأبي جعفر على المنابر حتى قدم عليه عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم . فلمّا حضر معه الجمعة وسمع الدعاء لأبي جعفر ، أنكره . وقال : إنّ من الحلم الجهلا ! وأي هوادة بيننا وبين هؤلاء ؟ عدوا علينا فلم يرقبوا فينا إلّا ولا ذمّة واستحلّوا منّا كلّ حرمة وأخرجونا من أرض الله الواسعة فألجؤوا فلّنا إلى هذه القاصية الشاسعة، ثمّ ها نحن نساترهم فيها ونمدّ لهم خيط باطلهم بالدعاء لهم ؟ أعطي اللّه عهدا : لئن لم تحوّل الدعوة لهم إلى البراءة منهم لأنقلبنّ على وجهي مبادرا في هذه الأرض العريضة !

وقد كان ذلك من هوى عبد الرحمان ، إلّا أنّه آثر الأناة إلى أن استضاء برأي ابن عمّه ، فترك الخطبة لأبي جعفر وتفرّد بالدّعاء لنفسه ، وذلك بعد سنة من دخوله الأندلس.

ثم شرع في تعظيم قرطبة فجدّد مغانيها وشيّد مبانيها وحصّنها بالسّور ، وابتنى قصر الإمارة والمسجد الجامع ووسّع فناءه ، وأصلح مساجد الكور . ثمّ ابتنى مدينة الرّصافة منتزها له واتّخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل إليها غرائب الغراس وأكارم الشّجر من بلاد الشّام وغيرها من الأقطار . ورأى أوّل ما نزل هذه الرصافة نخلة فذّة فذكّرته باغترابها غربته فقال : تبدّت ... الأبيات.

وأشاع في سنة ثلاث وستّين ومائة الرّحيل إلى الشام لانتزاعها من بني العبّاس ، وذلك أنّ كتُب جَمَاعَة ممّن بها من أهل بيته ومواليه وشيعته توالت عليه بضعف المسوّدة وفتور فورتهم وثقل دولتهم على النّاس . فعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالأندلس في طائفة ويذهب بعامّة من أطاعه ، وكمّل من ضروب المماليك أربعين ألفا ، فاخترم دون ذلك.

113 ــ أبو محمد الأصيليّ
الأندلسيّ (324-392)[1]

عبد اللّه بن إبراهيم (بن محمد) الأصيليّ ، أبو محمد.

أصله من كورة شذونة من بلاد الأندلس . وكان جدّه من مسالمة أهل الذمّة بها . وكان والده إبراهيم يلقّب « زقّ الإبرة » لشكاسة كانت في خلقه ، ورثها عبد اللّه عنه. ووالده إبراهيم هو الذي رحل به إلى أصيلة من بلاد العدوة وسكنها فنشأ بها عبد اللّه ، ثمّ رحل وطلب العلم بالآفاق ودخل الأمصار، فأوغل في بلاد المشرق فكان من جلّة العلماء ، ولقي الرجال ، وتفنّن في الرأي وحذق في الحديث وأبصر عِلَله . وروى كتاب البخاري فأبرّت روايته على رواية من قبله (...)[2] وألّف كتبا كثيرة نفّاعة منها كتاب (الدليل على أمّهات المسائل في السنّة)[3].

وسمع الخليفة الحكم بخبره وهو بالمشرق ، وكان معتنيا بهذا الشأن فاستجلبه من العراق وأقبل نحو الأندلس . فلمّا وصل منها إلى المريّة مات الحكم فانعكس أمله وبقي حائرا ، وكان مقلّا.

ثمّ نهض إلى قرطبة حضرة السّلطان ونشر بها علمه فشهر ذكره . وشرق فقهاؤها بمكانه ، وبقي بها مدّة مضاعا حتّى همّ بالانصراف إلى المشرق.

فلمّا كانت أيّام المنصور محمد بن أبي عامر، وعرف مكانه في العلم وبعد أثره في طلبه وكنه قيامه به، وحفظه ونبله ويقظته ، رغب في اتخاذه واصطناعه .وكان أوّل ما وصله به من أسباب

---

(1) ترجمته في معجم البلدان (أصيلة) ومدارك عياض 135/7 وهي ترجمة طويلة وقال فيها : مولده سنة 324 . وتاريخ ابن الفرضيّ 290/1 (رقم الترجمة : 760) وجذوة المقتبس وزاد في نسبه بعد جدّه محمد : ابن عبد الله بن جعفر الأمويّ . وتذكرة الذهبيّ 1024 (رقم الترجمة : 954) وأعلام الزركليّ 187/4 وشجرة النّور الزكيّة : 100 . وتنفرد ترجمة المقفّى مع ترجمة القاضي عياض بمعلومات : أنّ أصله من شذونة وإنّما انتقل إلى أصيلة بالمغرب ، وأن جدّه ذمّيّ ، ولعلّه كان يهوديّا أسلم فتسمّى بمحمّد ولقب والده « زقّ الإبرة » ، وأنّه لحقته نوائب ومحن .

(2) بياض في المخطوط بقدر أربعة أسطر . ولعلّ المقريزي ترك هذا الفراغ لتعميره بأسماء شيوخه وتلاميذه على عادته في تراجم العلماء . وهؤلاء الشيوخ مذكورون في بقيّة المصادر .

(3) في المصادرى الأخرى : كتاب الدلائل (عياض) ، كتاب الدلائل في اختلاف العلماء (الذهبيّ) الدلائل على أمهات المسائل (ابن الفرضيّ . وزاد : هو في اختلاف مالك والشافعيّ وأبي حنيفة) . وزاد مخلوف : شرح به الموطّأ .

النّباهة أن أمر بإجراء الرزق عليه باسم المقابلة(4) فنعشه به . ثمّ أخرج أمر السلطان الأكبر بتقديمه إلى الشّوري .

ثمّ ولي قضاء سرقسطة.

وكان من حفّاظ رأي مالك بن أنس ، إلّا أنّه كان على مذهب العراقيّين من أصحابه في وضع الحجاج والتكلّم علي الأصول وترك التّقليد. وكان مع ذلك من أعلم الناس بالحديث ، وأنقدهم له ، وأبصرهم بعلله ورجاله . وكان يحضّ أصحابه على طلب الحديث واكتتابه ولا يرى أنّ من خلا من علمه فقيه على حال. وكانت وفاته سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة على إثر موت (المنصور) بن أبي عامر. فدفن بمقبرة الرصافة . وصلّى عليه القاضي أبو العبّاس بن ذكوان.

50 ـــ ابن شقّ الليل الطّليطلي

(455-380) (1)

(35ب) محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السّلام، أبو عبد الله ، الأنصاريّ الأندلسي، عرف بابن شقّ اللّيل . من أهل طليطلة .

سمع بمصر أبا الفتح(2) الحسن بن القاسم بن عمر بن محمد الصوفيّ ، وأبا القاسم يحيى ابن عليّ بن محمد الطحّان الحافظ ، وأبا محمد بن النحّاس ، وأبا القاسم بن ميسرة ، وأبا الحسن أحمد بن عبد العزيز بن بشر ، وعبد الغنيّ بن سعيد.

وسمع بطليطلة من جماعة ، وحدّث عن جماعة كثيرة من المحدّثين . قال ابن بشكوال : وكان فقيها عالما ، وإماما متكلّما ، حافظا للفقه والحديث ، قائما بهما ، متقنا لهما ، إلّا أنّ المعرفة بالحديث وأسماء رجاله ، والبصر بمعانيه وعلله كانت أغلب عليه . وكان مليح الخطّ جيّد الضبط ، من أهل الرّواية والدّراية والمشاركة في العلوم . وكان أديبا شاعرا مجيدا لغويّا ديّنا فاضلا . كثير التّصانيف والكلام على علم الحديث ، حلو الكلام في تآليفه ، وله عناية بأصول الديانات وإظهار الكرامات .

---

(4) هكذا في المدارك 137/7 . ولا نفهم المقصود .

---

(1) الصلة : 511 (رقم 1184) ـــ الوافي 343/1 (227) ـــ نفح الطيب 263/2 .

(2) في النفح : أبو الفرج .

توفّي بطلبيرة[3] يوم الإربعاء منتصف شعبان سنة خمس وخمسين وأربعمائة (ومولده في حدود سنة ثمانين وثلاثمائة) .

35 ــ أبو بكر ابن أسود الغسّاني

(... ــ 536)[1]

محمد بن إبراهيم بنَ أحمد بن أسود ، أبو بكر (الغسّاني) ، المغربيّ من أهل المريّة .

قدم إلى مصر ولقي بها أبا بكر الطرطوشيّ (ت 520) وعاد إلى بلده وشُووِرَ (لمعرفته ومنصبه) . واستقضي بمرسية مدّة طويلة (لم تحمد سيرته فيها) ، ثمّ صرف وسكن مرّاكش .

قال ابن بشكوال : وتوفّي بمرّاكش في رجب سنة ستّ وثلاثين وخمسمائة .

وقال أبو جعفر بن الزبير[2] : وله كتاب تفسير القرآن ، وبيته بيت علم ودين .

---

(3) طلبيرة Talavera تقع على وادي تاجة غربيّ طليطلة ، أنظر الخريطة ص 192 من تاريخ إسبانيا الإسلاميّة للفي بروفنسال وخريطة إحسان عبّاس في الجزء الثامن من طبعته لنفح الطّيب .

---

(1) الصلّة 553 (1286) ــ نفح الطيب 261/2 . وفيه أنّه توفّي سنة 636 وهذا غير ممكن لأنّ أبا بكر الطرطوشي الذي لقيه توفّي سنة 520 .

(2) أحمد بن إبراهيم بن الزّبير الغرناطيّ (ت 708) صاحب صلة الصلة ــ الأعلام 83/1 . وقد نشر لِيفِي بروفنسال القسم الأخير من صلة الصلة بالرباط سنة 1938 ولا توجد ترجمة ابن أسود فيه .

47 ــ ابن هانئ الحفيد

(... قبل 560)[1]

محمد بن إبراهيم بن مفضّل ، أبو عبد الله ، الأزديّ ، الأندلسيّ من ولد ابن هانئ الشّاعر .

قدم إلى القاهرة ، وتوفّي بها في آخر أيّام الصالح ابن رزّيك قبل سنة ستّين وخمسمائة .

ومن شعره في راقصة [كامل] :

لطيفة في الرقص تعطف قدّها كتعطّف اليزنيّة السمراء
تختصّ بالحركات منها سُرعة كتخصّصِ الأرواح بالأعضاء
خفّت ، فلو رقصت بأعلى لجّة ما بلّ أخمصها حباب الماء

وقال [كامل] :

يا مَن يُريد على الإساءة ودّنا طرف الوداد عن المسيء غضيض
أنت الحبيبُ لنا بكونك محسنًا فإذا أسأت لنا فأنت بغيض

وقال فيه الرشيد بن الزبير[2] : هو من الطارئين على مصر في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ومدح بها جماعة من الرؤساء وقوما من الفضلاء والأمراء، ثمّ ترقّى إلى مدح الملوك وأثبت في جملة الشّعراء . وحمله ما شوهد من نفاق سوقه ونجاح طريقته أن انتسب إلى ابن هانئ الأندلسيّ . ولم يقم له شاهد على صدق النّسب إليه وصحته إلا تسميته باسمه واكتناؤه بكنيته[3] . وله شعر يدلّ ما يظهر على أكثره من تباين النسج والسقط وركاكة اللفظ والغلط

(1) له ترجمة في جريدة العماد الإصفهاني (قسم شعراء مصر) 248/1 وفي بدائع البدائه لابن ظافر: 224 .

وقد خُضنًا في صحّة نسبه في رسالتنا عن محمد بن هانئ الأندلسي شاعر الفاطميّين بإفريقيّة (دار الغرب الإسلاميّ 1985) ص 859. ولا يشكّ المقريزيّ هنا ولا ابن ظافر ولا العماد في نسبته إلى شاعر المعزّ ، رغم ما سينقله المقريزيّ بعد قليل من كلام الرّشيد ابن الزبير .

(2) القاضي الرشيد الغسّاني أحمد بن عليّ بن الزّبير كاتب وشاعر مارس السّياسة في عهد أواخر الفاطميّين، وهو معاصر للمترجم هنا ، والمعاصرة حجاب . أنظر ترجمة ابن الزبير في المقفّى رقم 522 وفي أعلام الزركلي 168/1 .

(3) فهو أبو القاسم إذن ، ويسميّه العماد : ابن هانئ الحفيد ، وابن ظافر : ابن هانئ المحدث . هذا ولم يذكر ابن هانئ الكبير قطّ في شعره ابنا له ولا بنتا . على أنّ الرّشيد ابن الزبير لم ينكر طروءه على مصر ، فيبقى صاحبنا أندلسيّا .

على أنّه مجتلب منتحل ويشهد بأنّه مختلق مفتعل . وأنا أظنّ ، بل لا أشكّ ، أنّه دعيّ في الأدب كما أنّه دعيّ في النّسب ، وأورد ما عزاه إلى نفسه منسوبا إلى قائله إن عرفته . وإن لم أعرف قائله أقررته فيه على دَعواه ووقفته إلى أن يتضّح ما أضمره ، وينشكف ما ستره ، بعد أن أبرأ إلى قارئه من عهدة الرواية فيه .

وأنشد (ابن الزبير) له أبياتا ، ثمّ قال : هذا من الجيّد الذي تدلّ رشاقة معناه على أنّه ليس ممّا كسبت يداه .

1203 ـــ ابن هود المرسيّ الزاهد

(633 ـــ 699)[1]

الحسن بن عليّ بن يوسف بن هود ، الجذاميّ ، المغربيّ ، الزاهد ، أبو عليّ . (بدر الدّين)[2] ، ابن عضد الدولة أبي الحسن ، وهو[3] أخو المتوكّل على الله أبي عبد الله محمد (بن يوسف) ملك الأندلس[4] .

كان أبوه عضد الدولة (علي بن يوسف) ينوب عن أخيه المتوكّل بمرسية ، فتزهّد آبنه الحسن واشتغل بشيء من علوم الحكمة والطبّ ، ونظر في كلام ابن عربيّ وابن سبعين[5] ، وانتمى إلى رأي ابن سبعين وعظّمه .

---

(1) له ترجمة في الوافي بالوفيات للصفدي ج 12/ ص 156 (رقم 128) . وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبيّ 345/1 (122) وعبر الذهبيّ 397/5 وشذرات الذهب لابن العماد 446/5 والسلوك للمقريزيّ 905/1 وطبقات الأولياء لابن الملقّن 126/428) .

(2) الزيادة من السلوك ومن غيره .

(3) أي عضد الدولة أبو الحسن عليّ .

(4) ملك غرناطة على الموحّدين ابتداء من سنة 625 ـــ انظر دائرة المعارف الإسلاميّة 562/3 فصل : (بني) هود HŪDIDES . ولقب المتوكّل أسنده إليه الخليفة العبّاسيّ من بغداد سنة 631 ـــ آنظر تاريخ ابن خلدون 169/4 .

(5) محيي الدين ابن العربي : محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي (ت 638) العارف الصوفي الكبير ، له ترجمة وافية في دائرة المعارف الإسلاميّة 729/3 . وترجم له المقريزي في المقفّى . مخطوط =

وكان عنده غفلة في غالب أحواله ، بحيث يصحبه الرجل سنة ويغيب عنه أيّاما يسيرة فيراه فلا يعرفه ، ويذكّره بأشياء جرت له معه فلا يذكر ، ولا يظهر عليه أنّه رأي ذلك الشخص عمره .

وقدم مصر ، وحجّ مرّات وجاور ، ودخل اليمن واحترمه(6) سلطانها وأرسل إليه وإلى أصحابه مالا .

وقدم دمشق غير مرّة ، وأُكرم أوّل دخوله إليها إكراما كثيرا ، وقصده نائب السلطنة بها والقاضي والأعيان . ثمّ طالت إقامته بها فانتقص ذلك الإكرام . وكان يظهر عليه أنّه لا فرق عنده بين الحالتين .

(371ب) وكان نُقِم عليه كلام يصدر (371 ب) منه لا يوافق الشّريعة(7) . وكان شيخ الإسلام تقيّ الدين أحمد بن تيميّة(8) كثيرَ الوقيعة فيه والتنقّص له ينفّر النّاسَ عنه التنفير الكثير ويحذّر منه التحذير الوافر .

وقال الذهبيّ : ثمّ بان أمره ، وقطع بأنّه من رؤوس الاتّحاديّة (9) .

وقال الصفديّ : وكان تلحقه (غيبة)(10) تشغله عن حسّه وتذهله عن نفسه حتّى إنّه كان يوضع في يده الجمر ولا يشعر ، فإذا أحرقه عاد إلى حسّه .

وربّما وقع في الحفائر ولا يدري(11) .

ليدن 2 رقم 454 . أمّا ابن سبعين ، فهو عبد الحقّ بن إبراهيم بن محمد العكّي . (ت 668) ، له ترجمة في دائرة المعارف 945/3 . والملاحظ أنّ ابن العربّي وابن سبعين وابن هود ثلاثتهم ولدوا بمرسية .

(6) هكذا في المخطوط ولعلّها : وأكرمه .

(7) نقل له الصّفدي أبياتا قد تكون محلّ تهمة ، منها :

أنـــا عبـــدٌ ، أنـــا ربٌّ   أنـــا عِزٌ أنـــا ذلُّ
أنـــا دنيـــا، أنـــا أخـــرى   أنـــا بعضٌ ، أنـــا كُلُّ

(8) هو الفقيه الحنبليّ المشهور توفّي سنة 728 . وقد اضطهد كثيرا بسبب تصلّبه في الدّفاع عن السنّة ، وقاوم الصوفيّة ، وله ترجمة مطوّلة في المقفّى (ج 1 رقم 462) .

(9) قال فيه : الصوفّي الاتّحاديّ الضالّ (عبر 397/5) .

(10) زيادة منّا ليستقيم الكلام .

(11) عبارة الوافي : « وكان يحفر له الحفر في طريقه فيقع فيها ذهولا وغيبة» وهي جملة تدلّ على عداوة له من النّاس .

وكان يقرىء الدلالة للرئيس موسى[12] ، وأسلم على (يده) جماعة من اليهود فأغاظهم ذلك فعَمِلوا عليه حتّى سَقوه الخمر في حال غيبته وأروْه للمسلمين وهو في تلك الحال فما غيّر هذا عقيدة من له فيه عقيدة[13] .

وقال أبو حيّان[14] : رأيته بمكّة وجالسته ، وكان يظهر منه الحضور مع من يكلّمه (ثمّ) تظهر الغيبة منه . وكان يلبس نوعا من الثياب ممّا لم يعهد لبس مثله بهذه البلاد . وكان يذكر أنّه يعرف شيئا من علوم الأوائل . وأنشد[15] (له) عن أبي الحكم بن هانىء (صاحبنا) قوله :

[بسيط]

خضتُ الدُّجُنَّـةَ حتـى لاح لي قبَسٌ وبـانَ بانُ الحِمـى من ذلك القَـبَسِ
فقلت للقـوم : هذا الربـعُ ربعُهُـم وقلت للسّمـع : لا تخلو من الجَـرَسِ
وقلت للـعين : غُضّي من محاسِنِهـم وقلت للنطـق : هذا موطـنُ الخرس

وقال الشهاب أحمد بن فضل الله[16] : أنشدني شيخنا أبو البقاء ــ يعني الشهاب محمود[17] ــ هذه الأبيات . وكان من خبرها أنّ ابن هود حجّ . فلمّا أتى المدينة وشارف أعلامها ، نزل عن دابّته واغتسل ولبس ثيابا نظافا ، ثمّ جعل يمشي وهو يهمهم بكلام خفيّ سمعه بعض من كان يمشي خلفه ، فإذا هو يقول[طويـل] :

نَزَلْنَـا عن الأكـوار نمشي كرامـةً لمَـن حلّ فيـه أن يُلِـمّ به رُكْبَـا[18]

ثمّ لم يزل يطأ من رأسه ويخضع حتّى أتى باب المسجد وكأنّه راكع ، فسلّم على النبيّ

---

(12) موسى بن ميمون القرطبّي الطبيب الفيلسوف اليهوديّ آنظر ترجمتهُ في الأعلام للزّركلي 284/8 . توفّي سنة 601 . وكتاب الدلالة هو دلالة الحائرين الذي عرض فيه فلسفته .

(13) هذه الحادثة جاءت مفصّلة عند الصفدي وابن شاكر .

(14) الأثير ابن حيّان : هو محمد بن يوسف أبو حيّان النحويّ الجيّاني (ت 745) . آنظر الأعلام 26/7 . وله ترجمة في المقفّى : ليدن 3 رقم 546 .

(15) أبو حيّان هو الذي نقل الشعر عن أبي الحكم ، ولا نعرف ابن هانىء هذا .

(16) هو ابن فضل الله العمري : أحمد بن يحيى (ت 749) صاحب مسالك الأبصار . آنظر الأعلام 254/1 ، وله ترجمة في المقفّى ج 1 رقم 678 .

(17) الشّهاب محمود : هو محمود بن سلمان ــ أو سليمان ــ بن فهد الحنبلي الحلبيّ (ت 725) الأديب الكاتب . آنظر الأعلام 8 /48 . وكنيته أبو الثناء ، لا أبو البقاء كما في المخطوط . وقد سها الناسخ أيضا في آسمه فكتب الشّهاب ابن محمود .

(18) رُكبا : جمع راكب ، أي نزّهنا الحرم عن أن نحلّ بها راكبين .

(صلعم) من ظاهر الحجرة بأكمل الآداب ، ثمّ صلّى ركعتي التحيّة بالرّوضة ، ثم خرج إلى الزّيارة فجلس على الرمل ، ثمّ جعل يبكي ويخطّ على الرمل الأبيات . فقرأها بعض الحاضرين فحفظها وأنشدها عنه . يعني قوله : خضت الدجنّة ... إلى آخرها .

(قال) وأتى لاجين نائب الشام ، وحسام الدّين الرّازي ابن هود وهو لا يعرفهما . وكان مع لاجين سجّادة ففرشها تحت ابن هود بيده ، وساعده الرازي . فقال له بعض من عنده : يا سيّدي ، هذا نائب السلطان ، وبيده فرش لك السّجادة ، وهذا الذي معه من أكابر العلماء .

فقال : بارك الله فيهما ، والله ما فرش لي السّجادة إلّا ليجلس على سرير الملك، وصاحبه قاضي القضاة .

وقال كاتبه[19] : وكذا وقع . جلس لاجين هذا على سرير الملك ، وتلقّب بالسّلطان الملك المنصور ، وولي حسام الدّين هذا قضاء القضاة ، وهو أبو الفضائل الحسن بن أحمد الرازّي الحنفي ، كما قد ذكر في ترجمتيهما من هذا الكتاب[20] .

قال الشّهاب محمود : وكان ابن هود ذا علم جمّ ، ولكن كانت الغيبة غالبة عليه . ولقد كان يبقى الأيّام واللّيالي لا يأكل طعاما ولا يشرب شرابا. وكان كثيرا ما يقعد في مقابر كيسان مستديرا للمدينة متوجهّا إلى القبلة قبالة البرج . ويبقى الأيّام الكثيرة في الحرّ والبرد لا يتغيّر من مكانه . ولقد رأيته هنا مرّة في زمان صيف شديد وقد لفحته هواجر الحرّ وأثّر فيه السموم . وكانت بيني وبينه صحبة ، فوقفت أمامه وأنشدته قول الداني :

[كامل]

أنت المنيّـــةُ والمُنـــى ، فيك استـــوى ظلّ الغمامـــة والهجيـــرُ المُحْـــرِقُ

فرفع رأسه إليّ وقال : من تكون ؟.

---

(19) أي المقريزيّ المؤلّف . وهي عبارته حين ينتقل من النقل إلى التعليق .

(20) لاجين المنصوريّ تسلطن بمصر من سنة 696 إلى 697 ـــ النجوم الزّاهرة لابن تَغْري بَرْدي ج 8 ص 85–114 . وترجمة لاجين مفقودة من المقفّى .
والقاضي حسام الدّين هو الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنو شروان الرّازي ثمّ الرّومي ، قاضي القضاة الحنفيّ (ت 699) . أنظر الوافي 397/11 (571) . وفي سنة وفاته اختلاف . وقال المقريزي في السلوك 888/1 إنّه عُدِم في وقعة حمص مع التّتار ، وهي عبارة تعني أنّه فُقدَ دون تيقّن من موته . وفي الوافي أنّه يكون قد أسّر وحمل إلى جزيرة قبرص . وترجمته في المقفّى تأتي برقم 1150 .

فعرّفته بنفسي ، فقال : ما أعرفك .
فانصرفت وأنا أرثي له ممّا يقاسي .

وقال البرزالي : سألته عن مولده فقال : في ثالث عشر شوّال سنة ثلاث وثلاثين وستّمائة بمرسية . وتوفّي عشيّة الإثنين السادس والعشرين من شعبان سنة تسع وتسعين وستّمائة بدمشق . ودفن بُكرة الثلاثاء بسفح قاسيون . وتقدّم في الصلاة عليه القاضي بدر (372أ) الدّين محمد بن جماعة .

ومن شعره :

[طويل]

أورّي بذكـر الجزع عنـه وبانِـه ولا البانُ مطلوبي ولا قصدي الرمـلُ
وأذكـر سُعـدى في حديثي مُغالطـا بلـيلى ، ولا ليلى مرادي ولا جملُ
ولم أر في العشّاق مثلي لأنّني تلـذُّ لي البلْـوَى ويحلـو لي العـذْلُ
سِوى معشر حلّوا النظام ومزّقوا الثّـ ـيَـابَ ولا فرضٌ عليهم ولا نفـلُ
مجانيـنُ إلّا أنّ ذلّ جنـونهم عزيـز ، على أعتابهم يسجـد العقـل

وقوله :

[طويل]

سلامٌ عليكـم صدّق الخَبَـرَ الخبْـرُ فلم يبـق قال القَسُّ أو حدّث الحَبْرُ

وهي قصيدة عسرة المسلك متوعّرة الجوانب ، يُحار في ظلمائها ويخبط في بهمائها ، منها :

وأشرق نور الحقّ من كلّ وجهـة على كلّ وجه فاستوى السرّ والجهـرُ
فهامـوا وتاهـوا بين حق وباطـل يُجَـوِّزُهُ زيـد ويمنعـه عمـرو
ولـو سلّمـوا ساروا على منهج الهدى إلى حضرة الـرضوان لكنّهـم غرّوا
فقومـوا على ساق من الجدِّ واثبتـوا على قدم التّجريـد إنّ الغنـى فقـر
5 ـ ولا تجعلوهـا راحـة دون غايـةٍ فلا راحـة إلّا اذا بُعثِر الـقبر

وقوله :

[كامل]

حاشَا بنـانك من أذى يا من له الـ ـقـدر الكـبير ورفـدُه لا يمنَـعُ
لم تبـد فيهنّ الدمامـلُ ضلّـة بالـقصد لكـن ساقهـنّ المطمـع
لمّـا رأت كفّـيك جودا هامعـا وسحـاب ذاك الجود لا يتـقشّع
قصدتْ مشاركـة الأنـام فأصبـحت من فيض جودك تستمـدّ وتجمـع(21)

(21) هذه الأبيات العينيّة لم تذكر في الوافي ولا في الفوات .

40 ـ أبو عبد الله اليقّوريّ

(... ـ 707 هـ)[1]

محمد بن إبراهيم بن محمد ، أبو عبد الله ، اليَقُّورِي ، المغربيّ .

سمع الحديث ، وصنّف كتاب إكمّال الإكمال للقاضي عياض على صحيح مسلم[2] . وكتب على كتاب الشهاب القرافيّ في الأُصول[3] . وقدم إلى مصر ومعه مصحف قرآن حِمْل بغل بعثه ملك المغرب[4] ليوقفه بمكّة ، ثمّ عاد بعد حجّه ، ومات بمرّاكش سنة سبع وسبعمائة .

واليقّوري نسبة إلى يقّورة بياء آخر الحروف مفتوحة وقاف مشدّدة وراء مهملة: بلد بالأندلس[5] .

---

(1) الأعلام 187/6ـنفح الطيب 263/2 .

(2) ينسب إلى القاضي عياض (ت 544) شرح على صحيح مسلم (أنظر أعلام الزركليّ 282/5) ولعلّ هذا الكتاب هو الذي أكمله المترجم .

(3) كتاب أحمد بن إدريس ، الشّهاب القرافيّ الصنهاجيّ (ت 684) في الأُصول عنوانه : شرح تنقيح الفصول ـ الأعلام 90/1 .

(4) هو آنذاك يوسف بن يعقوب المرينيّ الذي ولي ملك المغرب من 685 ـ 706 . ولم يذكر الناصري السلاوي صاحب الاستقصاء هذه الرسالة ، وإنّما أطنب في وصف هديّة السلطان أبي الحسن علي ابن عثمان إلى النّاصر محمد بن قلاوون وتتضمّن مصاحف مرصّعة للمساجد الشّريفة الثلاثة (ك . الاستقصاء 127/3) .

(5) هذه الملاحظة عن يقّورة نقلها المقريّ في النفح ، وهو أمرٌ يبعث على التساؤل في قضيّتين :
الأولى : هل عرف المقرّي كتاب المقفّى ؟ ذلك أن المقريزيّ لم يذكر هذا المترجم ولا يقّورة لا في الخطط ولا في السلوك . وإذا ذكر المقريزي في نفح الطيب ، فعن الخطط والسلوك عادة يكون النقل .
التساؤل الثّاني : حقيقة يقّورة ، فهي مجهولة عند المقرّي إذ يتدرّع بالمقريزيّ في نسبتها إلى الأندلس ، ومجهولة كذلك عند ياقوت وابن عبد المنعم .

1157 ــ أبو عليّ الورّاق

(555 ــ 637)[1]

حسن بن سيف بن عليّ بن عبد الله ، ابن أبي الفتح ، بن مكثر بن يعلى بن عبد الله بن محمّد بن عليّ ، أبو عليّ ابن المنذر ، الأندلسيّ الأصل . المصرّي المولد والدار ، الورّاق .

ولد بالقاهرة في السّابع من ذي الحجّة سنة خمس وخمسين وخمسمائة . وتوفّي بالقرافة يوم السّبت الحادي والعشرين من شعبان سنة سبع وثلاثين ستمائة ./.

مسمار الوزير

أهدى المنصور بن أبي عامر إلى أبي مروان عبد الملك بن أحمد بن شهيد الوزير عقيلة من عقائل الرّوم يكنفها ثلاث جوار ــ وقد سأله ذلك عند صدره من بعض غزواته ــ وكتب إليه معهنّ يداعبه :

قد بعثنــــا بها كشمس النّهــــار ... في ثلاث من المَهـــا أبكـــار
فاجتهد واتّئـــد فإنّك شيـــخ ... خَفِـبي اللّيـلُ عن بيـاض النّهـار
صانك الله عن كلالك فيها ... فمـن العـار كلّـة المسمـار

فافتضّهنّ أجمع في ليلته ، وكتب إليه :

قد فضضنـا ختـامَ ذاك السُّوار ... واصطبغنـا من النّجيـع الجاري
ونعمنـا في ظلّ أنعـمَ ليـل ... ولهونـا بالـدّر أو بالـدّراري
وقضى الشّيـخ ما قضى بحسام ... ذي مضاء عضب الظُّبـى بتّـار
فاصطنعـه ، فليـس يجزيك كفـرا ... واتّخـذه سيفـا على الكفّـار

ابن الأبّار : الحلّة 276/1

(1) لم نجد له ترجمة في غير المقفّى . وإدراجه في هذا القاموس غريب إذ لا يذكر له المقريزيّ ميزة غير مهنة الوراقة ونسبته الأندلسيّة البعيدة .